قراءة رقمية بلا بوصلة: دراسة في فاعلية التوجيه التربوي والديني في ضبط المسارات القرائية في البيئة الرقمية

م.د. ابتسام صبري يونس
Ibtisam.Sabriyounes@uowasit.edu.iq
جامعة واسط/ كلية الآداب

الملخص

شهدت العقود الأخيرة تحولات جذرية في أنماط القراءة بفعل الثورة الرقمية، حيث أصبحت القراءة الرقمية الوسيلة الاساسية للاطلاع والتعلم لدى مختلف فئات المجتمع، لا سيما الشباب، تلك التحولات جاءت مصحوبة بفرص كبيرة للوصول إلى كم هائل من المعلومات، لكنها في الوقت ذاته فرضت تحديات معرفية وثقافية كبيرة، تمثلت في تنامي ظاهرة التلقي السطحي والعشوائي للمحتوى الرقمي، الذي يفتقر إلى عمق التحليل والتمييز النقدي، مما يؤثر سلبا على تكوين الوعي المعرفي والقيمي لدى الأفراد، تنمو هذه الظاهرة في ظل ضعف أو غياب أطر توجيهية مؤسسية فاعلة، يمكنها أن تضبط مسارات القراءة الرقمية وتعيد تشكيلها بما يتناسب مع الهوية الثقافية والدينية والاجتماعية للمجتمعات، ومن هنا يبرز الدور الحيوي للمؤسسات التعليمية والدينية التي تشكل الركيزة الأساسية في التنشئة المعرفية والقيمية، لما لها من قدرة على التوجيه والإرشاد داخل بيئاتها المجتمعية، مما يجعلها عوامل فاعلة في مواجهة تحديات القراءة الرقمية، هدف البحث إلى دراسة وتحليل مدى فاعلية التوجيه التربوي والديني في ضبط المسارات القرائية في البيئة الرقمية، من خلال الكشف عن ممارسات المؤسسات التعليمية والدينية في هذا المجال، وتقييم أثرها في توجيه سلوك المتلقين الرقميين، اعتمد البحث على منهجية وصفية تحليلية ، حيث يجري استقصاء آراء طلبة الجامعات والناشطين في المؤسسات الدينية، إضافة إلى تحليل الخطابات والبرامج التربوية والدينية المرتبطة بالتوعية الرقمية، وتبرز نتائج البحث وجود فجوة واضحة بين التحديات التي تفرضها البيئة الرقمية على أنماط القراءة، وبين مستوى استجابة المؤسسات التعليمية والدينية لها، فبينما تبذل هذه المؤسسات جهودا في إطلاق برامج توعية وورش عمل، إلا أن تلك الجهود غالبا ما تفتقر إلى الاستمرارية والتنسيق الاستراتيجي، كما تعاني من محدودية الموارد والمعرفة التقنية اللازمة لمواكبة سرعة التحولات الرقمية، بالإضافة إلى ذلك، يظهر أن المناهج التربوية التقليدية لا تزال تركز على القراءة الورقية والتلقين

دون تطوير مهارات القراءة النقدية الرقمية، وقد أسفر هذا الوضع عن تفشي ظواهر مثل الإدمان الرقمي، والسطحية في فهم المحتوى، والتشتت المعرفي، والتي تؤثر بشكل مباشر على جودة التعلم وبناء الهوية الثقافية والفكرية للمجتمع، لذا يؤكد البحث على أهمية تطوير برامج توجيهية متكاملة تجمع بين الرؤية التربوية والدينية، مع الاستفادة من تقنيات التعليم الرقمي الحديثة، لتعزيز القدرات النقدية للقراء الرقميين، وبناء وعي معرفي متين قادر على مواجهة تحديات الفوضى الرقمية.

الكلمات المفتاحية: القراءة الرقمية، التوجيه التربوي، التوجيه الديني، البيئة الرقمية، الشباب الرقمي، الوعي القرائي.

Digital Reading Without a Compass: A Study of the Effectiveness of Educational and Religious Guidance in Setting Paths Literacy in the Digital Environment

Asst. Dr. Ibtisam Sabri Younis

University of Wasit/ College of Arts/Department of Sociology

Specialization: Human Development

Abstract

In recent decades, the world has witnessed a profound transformation in reading patterns due to the digital revolution. Digital reading has become the primary mode of accessing knowledge and information, particularly among youthو While this transformation offers unprecedented opportunities to access vast amounts of content, it also brings forth serious intellectual and cultural challenges—chief among them the rise of superficial and fragmented reading behaviors, These patterns often lack critical depth and cognitive guidance, leading to distorted knowledge acquisition and undermining the development of coherent intellectual and moral identity,This phenomenon is further exacerbated by the absence or weakness of effective institutional guidance, which would otherwise help regulate digital reading behaviors and reorient them toward critical, value-based understanding, Herein lies the pivotal role of educational and religious institutions, which traditionally function as core structures in the formation of intellectual

and moral awareness, Their capacity for guidance, orientation, and cultural cultivation places them at the forefront of efforts to confront the growing disorder in digital reading practices,This research aims to explore and evaluate the effectiveness of educational and religious guidance in steering digital reading patterns, particularly among youth. It seeks to identify the efforts made by schools, universities, and religious organizations to promote critical digital literacy and assess their impact on reader behavior, Employing a descriptive–analytical methodology, the study incorporates both field-based data (surveys and interviews with university students and religious educators) and theoretical analysis (of institutional discourse and awareness campaigns)Findings reveal a significant gap between the challenges posed by the digital environment and the level of institutional response, While various programs and initiatives have been launched, they often lack strategic coordination, continuity, and technical integration. Moreover, educational curricula remain overly focused on traditional reading methods and rote learning, without adequately developing the skills required for critical engagement with digital content,This gap has contributed to the spread of phenomena such as digital addiction, information overload, shallow understanding, and cultural detachment, all of which directly impact the quality of learning and cultural identity formation, Therefore, the study underscores the need for a comprehensive and coordinated intervention strategy, combining pedagogical and religious frameworks, to empower digital readers with critical thinking tools and moral discernment.

Keywords: Digital reading, educational guidance, religious guidance, digital environment, digital youth, reading awareness.

المبحث الاول: الاطار العام والمفاهيمي للبحث

أولا: العناصر الاساسية للبحث

١-مشكلة الدراسة:أفرزت الثورة الرقمية تغيرات جذرية في طرائق التلقي المعرفي، إذ أضحى القارئ المعاصر يتفاعل مع مصادر متعددة، ومحتويات غير محدودة، ضمن بيئة مفتوحة تتسم

بالتدفق السريع للمعلومات، وكثرة الوسائط، وتنوع المنصات، هذا التوسع الرقمي، وإن حمل في ظاهره فرصا تعليمية ومعرفية هائلة، إلا أنه ترافق أيضا مع تحولات سلبية في أنماط القراءة والسلوك المعرفي، من أبرزها: التلقي السطحي، التصفح العشوائي، ضعف التركيز، والتفاعل غير النقدي مع المحتوى الرقمي، ومع تزايد الاعتماد على الوسائط الرقمية، تراجعت الأشكال التقليدية للقراءة المعمقة، وحلّت محلّها أنماط جديدة تتسم بالاختزال والسرعة وتعدد المهام، ما أدى إلى تشوش البوصلة المعرفية والأخلاقية لدى الكثير من المستخدمين، خصوصا فئة الشباب الجامعي والناشئة، فالقراءة الرقمية – كما تمارس اليوم – كثيرا ما تفتقر إلى المرافقة التربوية والرقابة القيمية التي تضبط سلوك المتلقي وتوجهه نحو بناء وعي نقدي مسؤول، في ظل هذه التحولات، يطرح تساؤل ملح حول مدى قدرة المؤسسات المعنية بالتنشئة والتوجيه، مثل المؤسسات التعليمية والدينية، على أداء دورها في ضبط هذه المسارات القرائية الجديدة، فعلى الرغم من المكانة التاريخية التي تتمتع بها هذه المؤسسات، بوصفها حواضن للمعرفة والقيم، إلا أنها غالبا ما تعاني من بطء في التكيف مع التغيرات التكنولوجية، وتعجز في كثير من الحالات عن مواكبة سرعة التحول الرقمي، سواء من حيث تطوير خطابها أو من حيث أدوات تدخلها، وهنا تبرز مشكلة مركزية تتلخص في وجود فجوة معرفية وتوجيهية بين ما يتعرض له المتلقي من محتوى رقمي حر وغير منضبط، وبين قدرة المؤسسات التعليمية والدينية على التأثير الفعلي في تشكيل وعيه وتوجيه قراءاته، وتزداد هذه الفجوة خطورة حين يترك المتلقي دون إطار نقدي أو مرجعية معرفية وقيمية تضبط توجهاته القرائية، فيتحول التلقي الرقمي من فرصة معرفية إلى عامل تهديد للهوية الثقافية والاستقرار الفكري، ومن هنا، فإن مشكلة هذه الدراسة تتجسد في محاولة فهم وتحليل مدى فاعلية الخطاب التربوي والديني في معالجة اختلالات القراءة الرقمية، وتقييم قدرة هذه المؤسسات على مرافقة المتلقي الرقمي في بيئة معرفية مفتوحة، سريعة التغير، تفرض تحديات كبيرة على منظومات التوجيه التقليدية، ويطرح في هذا الإطار سؤال إشكالي رئيس مفاده: إلى أي مدى تستطيع المؤسسات التعليمية والدينية ضبط المسارات القرائية في البيئة الرقمية؟ وما طبيعة الأدوار التي تمارسها، وما التحديات التي تواجهها في هذا السياق؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيسي مجموعة من التساؤلات الفرعية، منها:

١- ما السمات العامة للقراءة الرقمية في أوساط الشباب؟

٢- كيف يتفاعل المتلقّي مع المحتوى الرقمي دون إشراف أو توجيه؟

٣- ما نوع الخطابات والبرامج التي تقدمها المؤسسات التعليمية والدينية في هذا المجال؟

٤- ما مدى وعي هذه المؤسسات بمخاطر القراءة الرقمية غير المنضبطة؟

٥- ما المعوقات التي تحول دون قيام المؤسسات بدورها التوجيهي بكفاءة وفاعلية؟

إن هذه الأسئلة تمثل جوهر المشكلة البحثية، وتسعى الدراسة إلى تفكيكها وتحليلها، في سبيل الوصول إلى فهم أعمق للدور المؤسسي التوجيهي في العصر الرقمي، وإلى بلورة توصيات عملية تسهم في ترشيد السلوك القرائي الرقمي ضمن أطر معرفية وقيمية رشيدة.

٢- اهمية الدراسة

تكتسب الدراسة أهميتها من تماسها المباشر مع واحدة من أخطر التحولات التي يشهدها العصر الحديث، والمتمثلة في الانتقال من أنماط القراءة التقليدية إلى القراءة الرقمية المفتوحة وغير المنضبطة، وما يرافقها من تحديات ثقافية وتربوية وقيمية، فالفرد المعاصر، لا سيما في البيئات الشبابية، لم يعد يتلقى المعرفة من خلال الكتب أو المعلمين فقط، بل بات يعيش في فضاء رقمي واسع، تفرضه الوسائط الحديثة، ويشكل المصدر الرئيس للتلقي والتأثير، إن البيئة الرقمية المعاصرة، بكل ما تحمله من انفتاح وتدفق للمحتوى، لم تكن دوما عاملاً مساعدا في تعزيز الوعي أو بناء الذات المعرفية، بل كثيرا ما أصبحت مصدرا للفوضى المعرفية، والإشباع الزائف، وتفكيك المرجعيات الثقافية، خاصة حين تمارس القراءة فيها دون توجيه مؤسسي فاعل أو رقابة تربوية واعية، من هنا تنبع الأهمية العلمية لهذه الدراسة؛ فهي لا تكتفي بوصف الظاهرة، بل تسعى إلى تفكيكها، وتحليل أبعادها، وربطها بسلوك المتلقي، وبالدور الغائب أو الضعيف للمؤسسات التوجيهية في المجتمع ، وتظهر أهمية الدراسة أيضا من تناولها لزاويتين مترابطتين قلّما يجري الجمع بينهما في دراسة واحدة، أولًا: زاوية التحول الرقمي في أنماط القراءة، وما يترتب عليه من آثار على بنية الوعي الفردي والجمع، ثانيا: زاوية فاعلية التوجيه التربوي والديني، باعتبار هاتين المؤسستين من أهم قنوات التنشئة الثقافية والاجتماعية في المجتمعات العربية والإسلامية، لا سيما في بيئات ما زالت تعاني من هشاشة إعلامية وضعف في سياسات التوجيه الرقمي، كما أن الدراسة تلامس واقعا تعليميا وثقافيا في غاية الحساسية، حيث بات الشباب عرضة للتأثر بخطابات متباينة ومتعارضة، دون امتلاكهم الأدوات اللازمة للتمييز أو النقد أو التقويم، مما يجعل التدخل التربوي والديني ضرورة وجودية وليست مجرد خيار ثقافي.

٣- اهداف البحث

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل وتحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والمعرفية التي تتمحور حول فهم أبعاد القراءة الرقمية، وتقييم فاعلية الأطر التوجيهية التربوية والدينية في ضبطها وإعادة توجيهها، ويمكن تحديد أهداف الدراسة فيما يلي:

١- تشخيص واقع القراءة الرقمية لدى فئة الشباب الجامعي واليافعين، وتحديد أبرز السمات والأنماط السلوكية المرتبطة بها.

٢- تحليل الأثر المعرفي والثقافي للقراءة الرقمية العشوائية، والكشف عن انعكاساتها على الوعي الفردي، والهوية القيمية، والبنية المعرفية لدى المتلقين.

٣- دراسة وتحليل الدور الذي تؤديه المؤسسات التعليمية والدينية في توجيه أنماط القراءة الرقمية، من حيث الخطاب، والمحتوى، والبرامج التوعوية.

٤- تقييم مدى فاعلية التدخل التربوي والديني في ضبط المسارات القرائية الرقمية، من خلال الوقوف على استراتيجيات التوجيه وآلياته، ومستوى تأثيرها على السلوك القرائي.

٥- رصد التحديات والمعوقات التي تواجه المؤسسات التعليمية والدينية في أداء دورها التوجيهي في البيئة الرقمية، سواء كانت تحديات معرفية، أو تقنية، أو تنظيمية.

٦- اقتراح آليات واستراتيجيات تكاملية بين الخطاب التربوي والديني لتفعيل الدور الإرشادي للمؤسسات، وضمان بناء وعي نقدي لدى القراء الرقميين.

ثانياً: المفاهيم والمصطلحات العلمية الاساسية للبحث

١- القراءة الرقمية

القراءة لغةً مأخوذة من الاصل (قرأ)، قال ابن فارس: "القاف والراء والحرف المعتل أصل يدلُّ على جمع واجتماع"[(١)]، ويقال: قرأ الكتاب قرءا وقراءة، أي تلاه، وقرأ الشيء: جمعه، والقراءة: التلاوة والنظر في النصوص بغرض الفهم أو الاستذكار[(٢)] ، وتعرف اصطلاحاً :هي" عملية تفاعل القارئ مع النصوص أو المعلومات المعروضة عبر الوسائط الإلكترونية، مثل الشاشات الرقمية والهواتف الذكية والحواسيب، وتشمل النصوص التقليدية والإلكترونية، فضلاً عن النصوص التفاعلية والوسائط المتعددة. وتتميز القراءة الرقمية بكونها غير خطية غالبا، وتمارس في بيئة متعددة الوسائط"[(٣)] ، اما التعريف الاجرائي :تعرف القراءة الرقمية بأنها: كل تفاعل يقوم به الشباب مع محتوى معرفي أو ثقافي أو ديني يتم تقديمه عبر المنصات الرقمية، بما يشمل النصوص المكتوبة، الصور، الفيديوهات، المدونات، أو الوسائط التفاعلية، في إطار من الحرية والانفتاح، ومن دون مرجعية منهجية واضحة، وغالبا ما تتّسم بالسرعة والتشتت.

٢- التوجيه التربوي

يعرف لغوياً: التوجيه من وجه، ويقال: "وجه فلانا توجيها": دلّه على جهة أو طريق[(٤)] والتربية من ربا يربو، أي نما وزاد، وهي من الرَّب، أي الإصلاح والتنشئة[(٥)])، ويعرف اصطلاحاً: هو العملية التي تهدف إلى تنمية شخصية المتعلّم من جميع الجوانب: المعرفية، الأخلاقية، النفسية، والاجتماعية، من خلال التخطيط والإشراف والإرشاد، بما يساعده على اكتساب المهارات والقيم

(١) – ابن فارس، احمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام هارون، دار الفكر، ج٥، ص١١

(٢) – ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٠،ص٣٤٥.

(٣)– Coiro, Julie et al. Handbook of Research on Reading Comprehension, ٢nd ed., Routledge, ٢٠١٦.

(٤) –الفيروزآبادي، القاموس المحيط ، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ص٣٤٥.

(٥) –ابن منظور، مرجع سابق، ص٤٨٩.

اللازمة للاندماج في الحياة المعاصرة[(١)] اما التعريف الاجرائي: مجمل الأنشطة المؤسسية التي تقوم بها المدارس والجامعات ووزارات التعليم، بهدف تنظيم تلقي الشباب للمحتوى الرقمي، وتمكينهم من القراءة الواعية، وتقديم الأدوات التعليمية والمنهجية التي تساعدهم على اختيار مصادر موثوقة، وتحليل المعلومات بطريقة نقدية.

٣: التوجيه الديني

يعرف لغوياً: الدين في اللغة يطلق على الطاعة والانقياد، ويقال: دان له، أي أطاعه وخضع له، والدين هو الحساب والجزاء([٢]) ،والتوجيه يعني الدلالة إلى الجهة المناسبة للسير أو الفعل، يعرف اصطلاحاً: هو الجهد الذي تبذله المؤسسة الدينية أو العاملون فيها بهدف إرشاد الأفراد وتوجيههم على ضوء النصوص المقدسة ومقاصد الشريعة والقيم الأخلاقية، وذلك عبر الخطب والفتاوى والمحاضرات والمناهج الدينية[(٣)]، ويعرف اجرائياً: الخطابات والمبادرات والمضامين الرقمية وغير الرقمية التي تصدر عن الجهات الدينية (رسمية أو غير رسمية) بهدف ضبط وعي الشباب تجاه ما يقرؤونه رقميا، ومساعدتهم على بناء فهم أخلاقي وروحي للمحتوى، وتعزيز مناعتهم تجاه التوجهات المتطرفة أو المضلّلة في الفضاء الرقمي.

٤- المسارات القرائية

يعرف لغوياً : المسار او الطريق أو الجهة التي يسار فيها، ويقال: "سلك مسارا محددا" أي اتبع طريقاً مقصودا في التنقل أو التقدم، اما التعريف الاصطلاحي: المسارات القرائية هي الأنماط التي يسلكها القارئ خلال تعامله مع النصوص المختلفة، وتشمل تفضيلاته، التسلسل الذي يتبعه، ونوع المحتوى الذي يميل إليه، والطريقة التي يربط بها بين المعلومات والمصادر[(٤)]، اما التعريف الاجرائي تشير المسارات القرائية إلى: الطريق أو النمط الذي يسلكه القارئ الرقمي في اختياراته للمحتوى، وتفاعله معه، وتنقله بين المنصات الرقمية، سواء كانت تلك المسارات واعية ومنظمة، أو عشوائية وخاضعة لتأثيرات خوارزمية أو نفس

٥- البيئة الرقميةDigital Environment

تعرف البيئة لغوياً: المحيط أو الوسط الذي يعيش فيه الإنسان، ويقال: بيئة طبيعية أو بيئة اجتماعية، اما الرقمية فتعرف لغوياً: نسبة إلى الرقم أو النظام الرقمي المعتمد على الصفر والواحد في الحوسبة، وتعرف اصطلاحاً البيئة الرقمية هي الفضاء الإلكتروني الذي يحتوي على كل التفاعلات التي تتم عبر الوسائط التكنولوجية مثل الإنترنت، الشبكات الاجتماعية،

[(١)] – زيدان، حلمي، التوجيه التربوي، في التعليم الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ٢٠١٠، ص٣٢.

[(٢)] – الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥، ص١٧٧.

[(٣)] – يوسف القرضاوي ،الخطاب الديني بين التجديد والتبديد، دار الشروق، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤، ص٥٤.

[(٤)] – Nassaji, Hossein. "Schema Theory and Knowledge-Based Processes in Second Language Reading Comprehension: A Review." Language Learning Journal, ٢٠٠٧.

التطبيقات، والمواقع الإلكترونية، ويتميز بالانفتاح والسرعة والتعدد[(١)]، اما التعريف الإجرائي:هي الإطار التكنولوجي الذي تتم فيه عملية القراءة الرقمية، ويشمل: المنصات التعليمية وغير التعليمية، وسائل التواصل الاجتماعي، محركات البحث، التطبيقات الذكية، والمحتوى المفتوح، ويتميز بغياب التنظيم التربوي المباشر، وتعدد مصادر التأثير.

٦- الشباب الرقمي

يعرف لغويا: الشباب من شَبَّ يشبُّ شبابًا، أي بلغ ريعان القوة والنشاط ، ويعرف الرقمي: نسبة إلى البيئة التي تعتمد على البياناَت الإلكترونية والتكنولوجيا، اما التعريف الاصطلاحي:الشباب الرقمي هم الأفراد المنتمون إلى الجيل الذي نشأ وتكون في ظل التكنولوجيا الرقمية، ويتفاعلون معها بصورة يومية طبيعية، ويعتمدون عليها في التعلم والتواصل والتعبير[٢]، اما التعريف الإجرائي:يقصد به: فئة الشباب في الفئة العمرية (١٥-٣٠ عاما) الذين يعتمدون بشكل شبه كلي على الوسائط الرقمية في أنشطتهم الحياتية اليومية، ويستخدمونها كمصدر أولي للقراءة والبحث والتعلم، وهم المستهدفون في هذه الدراسة بوصفهم الفئة التي تحتاج إلى إعادة توجيه قرائي تربوي وديني فعال.

المبحث الثاني: التحولات المعرفية في البيئة الرقمية

شهدت المجتمعات المعاصرة، وبخاصة منذ العقدين الأخيرين، انفجارا معلوماتيا هائلاً وتطورا رقميا غير مسبوق غير من طبيعة علاقة الإنسان بالمعرفة، بل أعاد تشكيل مفاهيم أساسية في الوعي الإنساني مثل "القراءة"، و"المعلومة"، و"المصدر"، و"المرجعية" ، لم تعد القراءة فعلاً تأمليا هادئا كما عهدته البشرية لعقود طويلة، حين كان القارئ يختار كتابا محددا، ويهيئ نفسه للغوص في معارفه، ويقيم علاقة خاصة مع المؤلف والنص والرسالة، انما تحولت القراءة في العصر الرقمي إلى نشاط سريع، متعدد الوسائط، مشروط بخوارزميات وآليات عرض مرئية وجذّابة، يصعب معها الحفاظ على التركيز أو تشكيل فهم معمق ومتماسك، حيث أفرزت البيئة الرقمية نمطًا جديدا من التلقي أُطلق عليه "القراءة الرقمية"، وهي قراءة تتم في فضاء مفتوح وغير محكوم ببنية تقليدية، كما أنها تتسم باللاخطية، وتقوم على التنقّل السريع بين الصفحات، والاكتفاء بالعناوين والعناصر المرئية، واستسهال المعلومة، والتفاعل اللحظي معها، دون بناء تراكم معرفي أو نقدي مستقر، ومع الانتشار الواسع للهواتف الذكية وشبكات التواصل الاجتماعي والمنصات المفتوحة، أصبح أغلب المتلقين، خاصة من فئة الشباب، يمارسون القراءة دون وعي

(1) Castells, Manuel. The Rise of the Network Society, Wiley-Blackwell, ٢٠١٠.

(2) Prensky, Marc. “Digital Natives, Digital Immigrants.” On the Horizon, vol. ٩, no. ٥, .٢٠٠١

بالمسارات التي يقودهم إليها هذا النمط الجديد[(١)] ، واصبحوا ينتمون إلى جيل يقرأ كل شيء، في كل وقت، ومن كل المصادر، ولكن من دون مرجعية معرفية أو قيمية واضحة، وهذا ما دفع بعض الباحثين إلى توصيف الظاهرة بعبارة دقيقة هي: "القراءة الرقمية بلا بوصلة"، تتضح خطورة هذا التحول ليس في أن الإنسان أصبح يقرأ بشكل رقمي، فهذا التطور طبيعي ومشروع، بل في أن القارئ بات يقرأ خارج أي إطار توجيهي تربوي أو ديني منظم، إن القراءة التي لا تستند إلى خطة ولا إلى رؤية ولا إلى تأصيل منهجي، تتحول إلى استهلاك معلوماتي قد يشبع الفضول اللحظي، لكنه لا ينتج وعيا ولا يؤسس موقفا ولا يبني شخصية نقدية مستقلة [(٢)]، وما يزيد من تعقيد هذا الواقع هو أن المحتوى الرقمي نفسه يتسم بالفوضى، إذ يتداخل فيه المفيد مع المضلّل، والسطحي مع العميق، والهادف مع الترفيهي، دون وجود معايير واضحة تتيح للمتلقي التمييز أو التصنيف أو حتى الرفض، ولعل أخطر ما تتيحه بيئة القراءة الرقمية اليوم هو التحول في المرجعيات؛ حيث لم تعد المؤسسات التعليمية والدينية، ولا المكتبات الأكاديمية أو المدارس الفكرية، هي التي تحدد ما يقرأ وما يقدَّم للناس من معرفة، انما أصبحت المنصات الرقمية والتطبيقات الذكية والمحتوى التجاري السريع هي التي تتولى مهمة التوجيه، ولكنها تفعله وفقًا لمصالح تجارية وميول جماهيرية، لا وفقًا لمعايير علمية أو تربوية أو أخلاقية، وهكذا، تهمَّش الأدوار التربوية، ويقصى الخطاب الديني الرشيد، ويترك الفرد يواجه هذا السيل الجارف من النصوص والصور والمقاطع من دون مرشد، وما يزيد الأمر صعوبة أن المؤسسات التربوية والدينية ما زالت تعاني من بطء في مجاراة هذا التحول، فغالبا ما تتعامل مع القراءة الرقمية إما بروح العداء، وإما بروح التجاهل، ولا تتوفر لديها استراتيجيات واضحة لمرافقة القارئ الرقمي، أو لدمج التوجيه الأخلاقي والديني في بيئة التلقي الجديدة، إن بعض هذه المؤسسات ما تزال تعتمد خطابا تقليديا، يخاطب جيلًا لم يعد موجودا، ولا يملك الأدوات اللازمة للتواصل مع الأجيال الشابة بلغة العصر ورموزه ومفاتيحه الرقمية، ونتيجة لذلك، تتسع الفجوة بين القارئ وبين المؤسسة، ويشعر المتلقي بأن المرجعية التعليمية أو الدينية بعيدة عن واقعه، ولا تقدم له البدائل أو المساندة المناسبة [(٣)]، في هذا السياق، لا يمكن التغاضي عن أثر هذه التحولات في بنية المعرفة ذاتها، فلم تعد المعلومة تكتسب عبر التراكم والخبرة والبحث، بل باتت تلتقط من مقاطع فيديو قصيرة أو منشورات مبسطة أو صور ترويجية، وهي مواد تفتقر إلى العمق العلمي والمنهجي، ما يجعل الوعي المعرفي لدى الفرد هشًا، متشظيا، وسهل الانقياد، وأكثر من ذلك، فإن الفرد في البيئة الرقمية لا يتلقى فقط ما يبحث عنه، بل ما يقدَّم له على أساس الخوارزميات، وهذا يعني أن ما يقرأ في الغالب ليس ما يختاره القارئ، بل ما يختار له، ويعرض عليه بناء

(١) –عبد الفتاح جحا، القراءة ومهاراتها في العصر الرقمي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ٢٠١٤، ص٣٧.

(٢) – عبد الكريم بكار، القراءة المثمرة: مفاهيم وآليات، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ٢٠٠٧، ص٢١.

(٣) –صادق جواد سليمان، التعليم في عالم متغير، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، لبنان، ٢٠١٠، ص٩١.

على أنماط سلوكه الرقمي، وهو ما يضعف عنصر الإرادة الحرة في تشكيل الوعي، كما أن هذه البيئة لا تكتفي بتقديم المعلومة، بل تفرض أنماطًا سلوكية، وتعيد تشكيل الذوق، وتُبدّل معايير الاهتمام، وتقلص من زمن الانتباه، وتفكّك علاقة الإنسان مع النص العميق والقراءة الطويلة، فالمتلقي الرقمي اليوم لا يستطيع في كثير من الأحيان قراءة نص يتجاوز الصفحة الواحدة، ويفضل المشاهدة على القراءة، والتفاعل اللحظي على التحليل المنطقي، وهذا بدوره ينعكس على طريقة تفكيره، وعلى منظومته القيمية، وعلى إدراكه للواقع من حوله[(١)]، إن البيئة الرقمية قد ساهمت دون شك في توسيع فرص الوصول إلى المعرفة، ووفّرت إمكانيات هائلة للتعلّم الذاتي والتواصل المعرفي، ولكنها في الوقت ذاته خلقت تحديات معقدة تتطلب استجابات مؤسسية فاعلة، ولا يمكن ترك القارئ الرقمي وحده في هذا الفضاء الواسع دون مرافقة تربوية ودينية تتفهم طبيعة العصر وتعيد توجيه هذا النمط الجديد من التلقي نحو البناء لا الهدم، نحو التمكين لا التهميش، ونحو الوعي لا الانقياد، وانطلاقًا من ذلك، تأتي هذه الدراسة لتفتح أفقًا بحثيا حول هذا الواقع المتحول، وتحاول أن تسهل فعالية التوجيه التربوي والديني في التعامل مع هذه التحولات، وفي ضبط المسارات القرائية التي باتت تنمو بلا إشراف أو بوصلة، إن الفهم العميق للتحول الرقمي، ومعرفة خصائص القارئ الجديد، وتحليل البيئة الرقمية بكل ما تحمله من فرص ومخاطر، يعد شرطًا أساسيا قبل التفكير بأي تدخل توجيهي أو تربوي، وهذا ما يسعى إليه هذا المبحث، بوصفه مدخلًا نظريا لقراءة التحول القرائي، وتفكيك الظاهرة، ورسم ملامحها العامة[(٢)].

المبحث الثالث: التوجيه التربوي والديني في المجتمعات المعاصرة

حين نتأمل طبيعة التغيرات الثقافية والمعرفية التي طالت بنية الوعي الإنساني في العصر الرقمي، نلحظ أن واحدة من أبرز مظاهر هذا التحول تكمن في تقلّص دور المؤسسات التقليدية في ضبط التلقي وتوجيهه، وعلى رأس هذه المؤسسات: المؤسسة التربوية والدينية، حيث كانت هاتان المؤسستان لعقود طويلة تمثلان مرجعية لا يتنازع على سلطتها، حيث تمارس وظائفها التربوية والتكوينية داخل سياقات واضحة ومحددة، تسهم في بناء الإنسان معرفيا وأخلاقيا ضمن منظومة متماسكة من القيم والمفاهيم، غير أن ظهور البيئة الرقمية، بكل ما تحمله من انفتاح وسرعة وتعدد في المصادر، فرض تحديات وجودية على هذه المرجعيات، وأعاد تشكيل علاقتها بالجمهور، وطريقة أدائها لوظائفها، ومدى قدرتها على التأثير، إن القراءة الرقمية لا تمارس في فراغ، وإنما في وسط معرفي جديد، يفرض آلياته وسرعته وشروطه، وفي هذا الوسط، لم تعد المعرفة تتلقى من المعلم، أو من الخطيب، أو من الكتاب المقرر، بل أصبحت تنتج وتستهلك

(١) -عبد الله الموسى، مدخل الى التعليم الالكتروني، دار المسيرة، عمان ، الاردن، ٢٠١٣، ص١٠٤.

(٢) – سامي المبيضين، التربية الرقمية: المفهوم والوظيفة، مجلة دراسات تربوية، الجامعة الاردنية، المجلد٤٧، العدد٣، ٢٠٢٠، ص٤٥٥.

في آنٍ معا، ويشترك في صناعتها والتأثير بها فاعلون جدد، أغلبهم خارج المؤسسة، بل وربما يناقضونها في المرجعية والخطاب((١))، وهنا تحديدا تبدأ معضلة التوجيه: كيف يمكن للمؤسسة التربوية أو الدينية أن تؤدي دورها التوجيهي في فضاء لم تعد تسيطر عليه؟ وهل تملك أدوات جديدة تناسب طبيعة القارئ الرقمي؟ أم أنها ما تزال أسيرة أشكال خطاب تقليدية لم تعد قادرة على النفاذ إلى وعي المتلقي؟ من الناحية التربوية، لطالما اضطلعت المدرسة والجامعة بدور رئيس في غرس عادات القراءة، وتوجيه التلقي، وبناء المهارات التحليلية لدى الطلبة، غير أن هذا الدور بدأ يتراجع تدريجيا مع دخول التكنولوجيا التعليمية من جهة، وتضخم الوسائط الرقمية من جهة أخرى، فأغلب الطلبة اليوم باتوا يستقون معارفهم ومعلوماتهم من منصات غير تعليمية، ويتفاعلون أكثر مع المحتوى الذي يجدونه في التطبيقات المفتوحة، لا مع المقررات الدراسية أو مصادر المعرفة المنهجية، بل إن التفاعل مع الأستاذ الجامعي أو المعلم، غالبا ما يكون محدودا ومشروطًا بإطار الصف، في حين يتّسع تفاعلهم مع المؤثرين الرقميين الذين ينتجون محتوى يجمع بين التسلية والمعلومة والطرح البصري الجاذب((٢))، فيسحب المتعلم نحو فضاءات أقل انضباطًا، وهنا نجد أنفسنا أمام فجوة عميقة بين المؤسسة التعليمية وواقع القارئ الرقمي؛ إذ أن البرامج التعليمية في كثير من البيئات العربية ما تزال تقاوم رقمنه المناهج، أو تتعامل معها بمنطق التحول الشكلي لا الجوهري، فليس تحويل الكتاب الورقي إلى ملف PDF هو ما يصنع قارئًا رقميا واعيا، بل المسألة تتعلق بإعادة بناء المناهج التربوية نفسها لتتوافق مع طبيعة القراءة الجديدة، وبمقدار ما تتضمنه من تحفيز على التفكير النقدي، ومن تدريب على تقييم المصادر، وتمييز المعلومات، والربط بين الأفكار، وفهم النصوص غير الخطية ((٣))، وهذه الجوانب لا تزال غائبة أو ضعيفة في السياسات التعليمية التي تركز على المعلومات لا على الوعي، وعلى الحفظ لا على الفهم، وعلى الامتحانات لا على الكفاءة، أما المؤسسة الدينية، فإن التحول الرقمي قد أصابها كذلك برجات عنيفة، فبينما كانت منبعا رئيسا للتوجيه القيمي، والمصدر الأهم في تفسير النصوص الدينية وتقديم الفتاوى والمواقف، أصبحت اليوم تنافسها آلاف الحسابات الدينية على الإنترنت، التي تتحدث بلغات وأساليب متباينة، بعضها متسامحٍ وبعضها متشدد، بعضها مؤسسي وبعضها شعبي، بعضها ينتج خطابا عقلانيا وبعضها يقدم محتوى تجهيليا متطرفًا((٤))، حيث فتحت البيئة الرقمية الباب لكل من يمتلك منصة أو حضورا رقميا ليكون "مرجعا دينيا"، حتى وإن كان غير مؤهل علميا أو أخلاقيا، وأصبح القارئ الرقمي لا يميز بسهولة بين عالم الدين الحقيقي ومنتحل الصفة، وبين الرأي الفقهي الرصين والتأويلات السطحية

(١)– حسن التراب، التفسير التربوي للدين ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، واشطن، ١٩٩١، ص٧٨. (

(٢) – محمود حمدي زقزوق، الدين في عصر العلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر،٢٠٠١، ص١٤٤.

(٣)– عبد الله المغلوث، الرقمية وسؤال القارئ الجديد، مجلة المعرفة، وزارة التعليم السعودية، العدد٢٥٥، ٢٠١٥، ص٣٤.

(٤)– منصور العيسوي، الشباب والفضاء الرقمي: قراءة في تحولات التلقي، دار المسيرة للنشر، عمان، الاردن، ٢٠٢١، ص٦٥.

التي تشاع عبر مقاطع قصيرة ومضلّلة، والمؤسف في الأمر أن كثيرا من المؤسسات الدينية ما تزال متأخرة في الحضور الرقمي، أو أنها تتعامل مع الفضاء الإلكتروني باعتباره ميدانا ثانويا لا يستحق الاستثمار الجاد، بينما تنشط فيه جماعات ومنابر تعمل على تفكيك المرجعيات، وتقديم سرديات دينية بديلة، وحتى حين تحاول المؤسسة الرسمية أن تحضر رقميا، فإنها تفعل ذلك بأسلوب نمطي مكرر، يخلو من الحيوية، ولا يستجيب لحاجات الجيل الرقمي، ولا يتقن أدوات التأثير في عصر الصورة والمقطع السريع والانتباه المشتت، وفي المقابل، ينتج عن هذا الغياب أو الحضور الباهت شعور لدى الجمهور الشاب بأن الدين تقليدي، أو غير قادر على مواكبة الزمن، مما يفضي إلى ضعف الثقة، أو إلى الذهاب نحو بدائل مشوهة وخطيرة((١))، وفي ظل هذا السياق المركب، تظهر الحاجة الماسة إلى إعادة بناء العلاقة بين المؤسستين – التربوية والدينية – على أساس من التكامل لا التوازي، ومن التفاعل لا الانعزال، إذ لم يعد ممكنا أن تعمل كل منهما بمعزل عن الأخرى، فالقيم التي تزرعها المدرسة لا تكتمل إلا بإطار ديني أخلاقي يمنحها الجذر الثقافي والروحي، كما أن التوجيه الديني لا ينجح إلا إذا تمت مأسسته ضمن نظم تربوية تتعامل مع الدين بوصفه قوة ثقافية بنائية، لا مجرد منظومة عبادية أو وعظيه، ومن هنا، فإن الدعوة إلى تفعيل شراكة استراتيجية بين المؤسستين، عبر برامج تعليمية وإرشادية موحدة، ومناهج تراعي البعد التربوي والروحي معا، هي دعوة إلى إنقاذ القارئ من التشظي القرائي الذي فرضته الرقمنة، وإلى ترسيخ وعي قرائي قائم على الاستقلال النقدي والتقييم المعرفي، ليس المطلوب إذاً أن تقاوم هذه المؤسسات التحول الرقمي، أو أن ترفضه، أو أن تتعامل معه بروح دفاعية، بل أن تفهمه، وتعيد تموضعها فيه، وتؤسس خطابا جديدا قادرا على مرافقة القارئ الرقمي، لا على تقييده ((٢))، فزمن الإلقاء من المنبر الواحد قد ولّى، وزمن الكتاب المقرر وحده انتهى، وحل محله زمن الشبكة المفتوحة، والتلقي المتعدد، والذهنية المتحررة، وهذا يفرض على المؤسسات أن تنتج محتوى دينيا وتربويا رقميا عالي الجودة، أن توظف الوسائط الجديدة في خدمة الرسالة، أن تكون كوادر إعلامية وتربوية تتقن لغة العصر، وأن تتخلى عن الانغلاق والجمود لصالح التفاعل والانفتاح المدروس، إن القارئ الرقمي اليوم ليس خصما، بل هو شريك يحتاج إلى الثقة والتوجيه، لا إلى التلقين والوصاية، وإذا ما تمكّنت المؤسسة التربوية والدينية من فهم هذا القارئ، والدخول إلى عالمه بلغة تحترمه وتمنحه الأدوات، فإن القراءة الرقمية ستتحول إلى فرصة لبناء وعي جديد، لا إلى تهديد يخشى منه، غير أن ذلك يتطلب إرادة إصلاحية حقيقية، وإدراكا بأن المعركة اليوم لم تعد مع الجهل بمعناه الكلاسيكي، بل مع فيضان المعلومات غير المنضبطة، ومع التفكيك الرمزي والهوياتي الذي يمارس داخل الفضاء الرقمي،

(١) –عبد المجيد النجار، الشباب وسؤال الهوية في العصر الرقمي، مجلة اسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، العدد ٥٢، ٢٠٠٨، ص٩١.

(٢) –عبد الله الموسى، مدخل الى التعليم الالكتروني، دار المسيرة، عمان، الاردن، ٢٠١٣، ص١١٢.

والذي لا يواجه إلا بخطاب مؤسسي جديد، مؤثر، نابع من وجدان الناس، ومتفاعل مع واقعهم، لا منغلق في قوالب الماضي [١].

المبحث الرابع: واقع القراءة الرقمية في أوساط الشباب

لم يعد بالإمكان في الوقت الراهن الحديث عن القراءة بوصفها ممارسة نخبوية أو حكرا على فئة محددة، بل أصبحت جزءا من الحياة اليومية، لكنها أخذت شكلاً مغايرا تماما عما كان مألوفا في العقود الماضية، لقد انتقلت القراءة من صفحات الكتب والمجلات إلى الشاشات الصغيرة، من رفوف المكتبات إلى منصات الهواتف، من العزلة التأملية إلى التفاعل الفوري مع النصوص والمنشورات والمقاطع المرئية، وفي قلب هذا التحول تقف فئة الشباب، بوصفها الفاعل الأبرز في البيئة الرقمية، والمستهلك الأول للمحتوى الرقمي، بل والمنتج له أحيانا، يتّسم الواقع القرائي الرقمي لدى الشباب اليوم بالهشاشة والسرعة والتشتت، وهو ما يمكن تسميته بـ"القراءة الاستهلاكية"، التي تهدف إلى الاطلاع السريع أو الاستجابة اللحظية، لا إلى التحليل أو الفهم العميق أو التراكم المعرفي، فالشاب المعاصر يقرأ كثيرا، نعم، لكنه يقرأ في الغالب ما يعرض عليه لا ما يبحث عنه، ويتلقى محتوى متنوعا لكنه بلا تسلسل، ولا ارتباط موضوعي، ولا عمق مفاهيمي، وكل ذلك يجري في مناخ من الانبهار البصري، والصخب الإعلامي، ومخاطبة الحواس أكثر من العقل، في هذا السياق، تصبح القراءة الرقمية أقرب إلى "التمرير" منها إلى "التمكّن"[٢] ، حيث يتنقل القارئ بين عناوين وصور ومقاطع، ويمضي ساعات طويلة بين الصفحات والروابط، لكنه لا يخرج منها بمعرفة واضحة، ولا بزيادة في الوعي، بل غالبا ما ينتهي به الأمر إلى حالة من التشوش المعلوماتي والارتباك في ترتيب الأولويات الفكرية، وهذه الظاهرة لا تفسَّر فقط من خلال طبيعة الوسيط الرقمي، بل أيضا من خلال غياب التوجيه، وتراجع دور المؤسسة التعليمية والدينية في مرافقة القارئ، فما يشهده الشباب من غزارة في المحتوى يقابله فقر في التدريب على التلقي الواعي، وانعدام في مهارات الفلترة والنقد والتحقق. وهم في الأغلب يقرؤون على ضوء اهتمامات ظرفية، أو توجيهات خوارزمية، أو مؤثرات بصرية، ما يجعلهم فريسة سهلة للمحتوى الموجَّه، والدعاية غير المرئية، والتلاعب بالقيم والسلوك، وتضاف إلى ذلك الضغوط النفسية والاجتماعية التي يفرضها التواجد المستمر في الفضاء الرقمي، مما يولّد شعورا دائما باللحاق والتنافس، ويقلل من فرص القراءة الهادئة أو التأملية، إن هذا الواقع الميداني يمكن تلمسه بوضوح من خلال عدد من المؤشرات التي ترصد سلوك الشباب في تعاملهم مع القراءة الرقمية، منها ميلهم إلى اختصار النصوص، والاعتماد على الاقتباسات أو المنشورات القصيرة بدلاً من قراءة المصادر الأصلية، وتفضيل الفيديوهات والمقاطع التفسيرية على القراءة المباشرة

[1]–منى الحديدي، الشباب العربي والاعلام الرقمي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد٣٨٢، ص٧٣.

[2]– هيثم طاهر، سوسيولوجيا الاعلام الجديد، دار اليازوري العلمية، عمان، الاردن، ٢٠١٨، ص١٤٣.

للنصوص، والتفاعل اللحظي دون اهتمام بالتحقق أو المتابعة، كما تشير الاستبيانات الميدانية الحديثة إلى أن نسبة كبيرة من الشباب لا يميزون بين المحتوى العلمي والمحتوى الترفيهي، ولا بين المواقع الموثوقة والمصادر العشوائية[(١)]، ما يعكس هشاشة ثقافية تستوجب المعالجة الجذرية، وما يزيد هذه الصورة تعقيدا هو أن الشاب الرقمي لم يعد قارئا سلبيا فحسب، بل أصبح أيضا منتجا للمحتوى ومشاركا في صناعة المعنى، سواء عبر التدوين الشخصي، أو المنشورات، أو التفاعل التعليقي، أو إعادة النشر والتعليق، وهذا يعني أن وعيه القرائي لا يؤثر فقط في ذاته، بل في الآخرين أيضا، إذ يتحول إلى حلقة ضمن سلسلة إنتاج معرفي غير منضبط، وهو ما يضاعف من أهمية ضبط المسارات القرائية وتنظيمها، وإذا كانت القراءة الرقمية تشكل فرصة لتوسيع الأفق والوصول إلى معارف متنوعة، فإن عدم وجود توجيه واضح يجعل هذه الفرصة تتحول إلى تحد معرفي خطير، فالإكثار من التعرض للمعلومة من دون تنظيم يشبه تناول الغذاء غير المتوازن: يشبع في لحظته لكنه يضعف البنية، وهنا نحتاج إلى قراءة تحليلية لواقع القراءة الرقمية لا تتوقف عند وصف الظاهرة، بل تتعمق في تحليل أسبابها وسياقاتها، وتربطها بالمتغيرات التربوية والثقافية والدينية، إن البيئة القرائية الرقمية في أوساط الشباب العربي تعاني من ثلاثة اختلالات رئيسية[(٢)]: أولها غياب المرجعية، حيث لا توجد سلطة معرفية واضحة توجه القارئ أو تضع له معايير، وثانيها طغيان العفوية على الاختيار، إذ أن أغلب ما يقرأ لا ينتقى وفق خطة أو هدف، بل وفق الصدفة أو التفاعل اللحظي، أما الاختلال الثالث فهو تفكك الهوية القرائية، حيث أن الشاب يقرأ في موضوعات متضاربة، ومن مصادر متباينة، دون أن يتكون لديه نسق فكري أو منهجي في التلقي، ولا يمكن تجاوز هذه الاختلالات إلا من خلال تدخل مؤسسي مدروس يعيد بناء الوعي القرائي لدى الشباب، ويوفر لهم المهارات اللازمة لفهم ما يقرؤون، والتعامل النقدي مع النصوص، واختيار المصادر، وإدراك العلاقة بين القيم والمعلومات، كما أن مسؤولية الأسرة، والمدرسة، والجامعة، والمراكز الدينية، لا تقتصر على تقديم المحتوى، بل تمتد إلى تدريب الشباب على العيش الواعي في الفضاء الرقمي، وأن تكون القراءة وسيلة للتحرر والتفكر، لا للاستهلاك والتلقين، وحين نتأمل هذا الواقع من منظور سوسيولوجي، ندرك أن أزمة القراءة الرقمية لدى الشباب ليست عرضا جانبيا بل هي نتيجة لتداخل عدد من العوامل الهيكلية والثقافية، منها طبيعة التنشئة الاجتماعية، وضعف المناهج التربوية، وانفصال التعليم عن الحياة، وسطحية الخطاب العام، وهي عوامل تحتاج إلى علاج عميق يتجاوز الإجراءات الجزئية، نحو مراجعة شاملة للسياسات الثقافية والتعليمية والديني[ة(٣)]، وفي ضوء ما سبق، يمكن القول إن واقع القراءة الرقمية في أوساط الشباب هو واقع غني

(1)–حسن الحمادي، الشباب وتحديات الاعلام الجديد، دار كنوز المعرفة ، عمان، الاردن، ٢٠١٦، ص٩١.

(2)–محمد بن عبد الله الحضيف، الهوية والفضاء الالكتروني، مجلة البيان، العدد٢٧٦، ٢٠١٠، ص٣٠.

(3)– لطيفة الدليمي، القارئ الرقمي والتحولات الثقافية، مجلة الثقافة الجديدة، وزارة الثقافة العراقية، العدد ٣٦٥، ٢٠١٨، ص٥٥.

بالحركة والانتشار والفرص، لكنه يفتقر إلى التوجيه والبناء والغاية، ما يجعله بحاجة ملحة إلى إعادة هيكلة تعيد فيه الاعتبار للمعرفة المنظمة، والقراءة العميقة، والانتماء المعرفي، والتفاعل مع النصوص ضمن منظومة قيمية ومنهجية، وهذا ما تسعى الدراسة إلى الإسهام فيه من خلال تحليل فاعلية التوجيه التربوي والديني في ضبط هذا الواقع، وبلورة اقتراحات عملية قادرة على مرافقة القارئ الرقمي في مساراته، لا السيطرة عليه، بل تمكينه ليكون قارئًا حرا، مسؤولًا، وواعيا في ضوء التحولات الثقافية العميقة التي أفرزتها البيئة الرقمية، وفي ظل الواقع القرائي المضطرب الذي يعيشه الشباب، تبدو الحاجة ماسة إلى طرح رؤية متكاملة تسهم في إعادة تنظيم العلاقة بين القارئ والمعلومة، وتوفّر له أدوات بوصلة قرائية قادرة على توجيه سلوكه المعرفي، وترشيد خياراته، وبناء قدرته على التمييز، في عالم يعج بالمضامين المتشابكة، والمصادر المفتوحة، والتأثيرات اللا مرئية التي تمارس على وعيه بشكل مستمر((١))، إن الحديث عن "بوصلة قرائية" في هذا السياق لا يقصد به العودة إلى أنماط التوجيه التقليدية التي كانت تسعى إلى فرض مسار معرفي واحد أو إقصاء التنوع أو الحد من حرية الاختيار، بل المقصود هو إرساء منظومة إرشادية مرنة وواعية، تعين القارئ الرقمي على فهم ما يقرؤه، وتنمي لديه حس النقد، ومهارات التحليل، وقدرة الربط، وروح التأمل، كما تساعده على بناء نسقه المعرفي الخاص، ضمن أطر أخلاقية وتربوية تحترم خصوصيته وتستجيب لروح العصر، تبدأ هذه البوصلة أولًا من الاعتراف بأن القارئ الرقمي ليس مجرد متلقٍ سلبي، بل هو فاعل مشارك، يتفاعل مع المحتوى ويعيد إنتاجه، وينخرط في عملية القراءة بطريقة غير خطية، وفي كثير من الأحيان غير تقليدية، وبالتالي، فإن أي توجيه تربوي أو ديني يجب أن يصاغ من هذا المنطلق، لا من منطلق الوصاية أو الهيمنة، على المؤسسات المرجعية أن تفهم القارئ الرقمي كما هو، أن تدرس دوافعه، واهتماماته، وسلوكياته، وأن تبني خطابها بناء على معطيات واقعية لا افتراضات نمطية ((٢))، إن البوصلة التي ننشدها تقوم على أربعة مكونات أساسية متكاملة: التوجيه القيمي، والتمكين المعرفي، والتحصين النقدي، والدمج المنهجي بين الديني والتربوي، فالتوجيه القيمي لا يعني فرض منظومة أخلاقية صارمة، بل ترسيخ معايير عقلانية وروحية تساعد القارئ على فهم البعد الأخلاقي للمعلومة، وتربطه بجذر إنساني وروحي راسخ يجعله يرفض بطبيعته المحتوى المبتذل أو العنيف أو المضلل، وهذا ما يمكن للمؤسسة الدينية أن تنهض به، شريطة أن تعيد إنتاج خطابها بلغة معاصرة، وأن توظّف المنصات الرقمية في نشر الرسائل الأخلاقية بصورة تفاعلية وجاذبة، أما التمكين المعرفي، فيتمثل في بناء مهارات القارئ في التعامل مع النص الرقمي، وتعليمه كيفية الوصول إلى المصادر الموثوقة، واستخدام أدوات

(1)–عبد الكريم بكار، القراءة المثمرة: مفاهيم وآليات، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٧، ص٣٤.

(2)–زينب عبد السلام ، الخطاب الديني واشكالية العصر الرقمي، مجلة الفكر المعاصر، العدد٢٤، القاهرة، ٢٠١٩، ص٨٥.

التحقق، وربط الأفكار، والتمييز بين الآراء والمعلومات، وفهم السياقات، وهذه المهمة تقع في صلب مسؤولية المؤسسة التربوية، التي يجب أن تنتقل من تعليم المعلومات إلى تعليم مهارات التفكير والبحث والقراءة النقدية، وتطوير مناهج تتناسب مع الواقع الرقمي وتستفيد من أدواته بدل أن تقف منها موقفاً سلبيا، ويأتي بعد ذلك مكون التحصين النقدي، الذي يعني تدريب القارئ على تفكيك الخطابات، وفهم بنيتها، وكشف ما تنطوي عليه من تحيز أو تضليل أو أجندات خفية، وهذا لا يمكن أن يتحقق عبر التلقين أو المنع، بل عبر حوار صريح مع الشباب حول طبيعة المحتوى الرقمي، والتحديات التي يواجهونها، وتمكينهم من بناء مناعتهم الفكرية بأنفسهم، فالتحصين هنا لا يعني الانغلاق، بل يعني الوعي، ويتطلب هذا من المؤسسات التربوية والدينية أن تتخلى عن منطق "التحذير" المجرد، وتتجه نحو استراتيجية "التفاعل النقدي الواعي" ،أما المكون الرابع، وهو الدمج المنهجي بين التربوي والديني، فهو يتطلب تجاوز الانفصال القائم بين المؤسستين، والعمل على بناء شراكات معرفية وتكوينية تتقاطع فيها القيم الدينية بالتوجيه التربوي، فالمتعلم لا يعيش داخل صناديق مغلقة[1] ، بل يستقبل الدين والعلم والمعرفة في آنٍ واحد، ويحتاج إلى من يرشده ليصوغ وعيا منسجما غير متناقضٍ، وإذا لم تعمل المؤسستان على ذلك، فستتكرر أزمة الازدواجية الفكرية، حيث يقرأ الطالب شيئا في المدرسة، ويسمع عكسه في المسجد، ويرى نقيضهما في الإنترنت، دون أن يملك قدرة حقيقية على التوفيق، ولا تكتمل هذه الرؤية دون تأكيد أهمية الوسائط والأساليب، فالتوجيه في البيئة الرقمية لا يكون عبر الخطب وحدها، ولا الكتب وحدها، بل عبر المنصات التفاعلية، والمحتوى المرئي القصير، والمبادرات الجماعية، والمدونات، والبودكاست، والمسرح الرقمي، والألعاب التعليمية، وكل أشكال الخطاب التي يمكن أن تخاطب الجيل الجديد بلغته، وتستثمر اهتماماته لصالح بناء معرفي أخلاقي راقٍ، وهذا يتطلب تحولاً جذريا في ذهنية المؤسسات، وفي سياساتها الاتصالية، وفي فهمها لطبيعة التأثير في العصر الحديث، إن القارئ الرقمي لن يعود إلى الوراء، ولن يتخلى عن أجهزته الذكية، ولن يتوقف عن الاستكشاف والبحث والتفاعل، ولكن يمكنه أن يتحول من قارئ مشتّت إلى قارئ مستنير، من قارئ سطحي إلى قارئ ناقد، من قارئ لا مرجعية له إلى قارئ يحمل بوصلة، وهذه هي الغاية الكبرى التي تسعى إليها هذه الرؤية: ألا نخسر القارئ في زحام المحتوى، وألا يتحول الفضاء الرقمي إلى مقبرة للقيم والمعرفة، بل إلى ساحة تفاعل حضاري وإنساني راقٍ، يرتقي بالفرد والمجتمع، ويعيد للمعلومة معناها، وللقراءة قدسيتها، وللإنسان حريته ومعناه((٢)).

[1]-احمد زايد، سوسيو لوجيا الانترنت، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، الكويت، العدد١٧٨، ٢٠١٦، ص٤٥.

[2] - يحيى اليحياوي، التحولات الرقمية في ظل الاعلام الرقمي، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، مجلد٣٩، عدد٢، ٢٠١١، ص١١.

النتائج

١- غياب المرجعية القرائية المنظمة في البيئة الرقمية: يتضح أن أغلب ممارسات القراءة الرقمية لدى الشباب تجري في إطار عفوي غير مؤطّر، حيث يختلط فيها التثقيف بالترفيه، والمعلومة بالتضليل، من دون وجود توجيه مؤسسي واضح أو أدوات ضبط معرفية ممنهجة.

٢- ضعف التفاعل المؤسسي مع التحولات الرقمية: تظهر فجوة واضحة بين ما تتيحه البيئة الرقمية من فرص قرائية وبين قدرة المؤسسات التربوية والدينية على مرافقة هذا التحول، سواء من حيث المحتوى أو الأسلوب أو الوسائط المستخدمة.

٣- افتقار الشباب إلى مهارات التقييم والتحليل النقدي للمحتوى الرقمي: حيث أظهرت المؤشرات أن معظم القراء الرقميين الشباب يفتقرون إلى القدرة على التحقق من المصادر، أو تقييم المعلومة، أو الربط بين النصوص، ما يجعلهم عرضة للتأثير السلبي من قبل المحتوى المضلل أو غير المنهجي.

٤- تفكك الخطاب القرائي بين الديني والتربوي: يعاني القارئ من ازدواجية في التوجيه، إذ لا توجد رؤية موحدة بين المؤسستين الدينيتين والتربويتين، وغالبا ما يتلقّى القيم في بيئة، والمعرفة في بيئة أخرى، دون تداخل تكاملي بينهما.

٥- طغيان الوسائط السريعة على القراءة العميقة: أثبتت الدراسة أن نمط القراءة الرقمي يتجه نحو السطحية والسرعة، مع تراجع ملموس في القراءة التأملية الممتدة، ما يؤثر سلبا في تشكّل الوعي النقدي، والقدرة على بناء منظومة معرفية متماسكة.

٦- الخطاب المؤسسي التقليدي لم يعد قادرا على الوصول الفعال للقارئ الرقمي: فغالبية الخطابات التعليمية والدينية لا تزال تصاغ بأساليب تقليدية لا تتوافق مع طبيعة التلقي المعاصر، مما يضعف من فاعليتها وتأثيرها في البيئة الافتراضية.

التوصيات والمقترحات

١- ضرورة تطوير خطاب مؤسسي رقمي متجدد يتلاءم مع خصائص البيئة الرقمية، ويعتمد على اللغة البصرية، والمحتوى المختصر الموجه، ويستفيد من منصات التواصل لبناء حضور مؤثر في الفضاء القرائي الجديد.

٢- دمج مهارات التفكير النقدي والتقييم المعرفي في المناهج التعليمية، لا سيما في المراحل الثانوية والجامعية، مع التركيز على تعليم أدوات التحقق من المعلومات، وفهم الخوارزميات، ومقارنة المصادر، وتحليل المضامين.

٣- بناء شراكات استراتيجية بين المؤسسات التربوية والدينية لتوحيد الجهود في مرافقة القارئ الرقمي، ووضع رؤية مشتركة للخطاب القيمي والمعرفي، تراعى فيها خصوصية الجيل الرقمي وتنوع اهتماماته.

٤- إنشاء وحدات توجيه قرائي رقمية داخل المدارس والجامعات تعنى بتقديم الاستشارات القرائية، ومرافقة الطلبة في بناء مكتبات رقمية موثوقة، وتدريبهم على الاستخدام المسؤول للمنصات الرقمية.

٥- تدريب المعلمين والخطباء والكوادر التربوية والدينية على مفاهيم الإعلام الرقمي، وأساليب الخطاب المؤثر، واللغة التفاعلية، والوسائط الحديثة، بما يمكّنهم من الوصول إلى القارئ الرقمي بفعالية أكبر.

٦- دعم المبادرات الشبابية التي تنتج محتوى معرفيا ملتزما في الفضاء الرقمي، سواء عبر المدونات أو البودكاست أو الفيديوهات القصيرة أو الندوات المباشرة، باعتبارها جسرا بين القيم الرقمية وروح التلقي الجديد.

٧- إطلاق حملات توعية قرائية رقمية موجهة لفئة الشباب، تهدف إلى تعريفهم بمخاطر التلقي العشوائي، وتقدم لهم بدائل معرفية موثوقة، وتدفعهم إلى التأمل فيما يقرؤون، بدل الاستهلاك اللاواعي للمعلومات.

٨- تشجيع البحوث العلمية المتخصصة في ظاهرة القراءة الرقمية من منظور سوسيولوجي وتربوي وديني، لدعم صناع القرار بالمعرفة اللازمة لبناء سياسات ثقافية تواكب الواقع المعرفي المتغير.

المصادر والمراجع

- ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٠.
- احمد زايد، سوسيولوجيا الانترنت، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، الكويت، العدد١٧٨، ٢٠١٦.
- الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥.
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.
- حسن التراب، التفسير التربوي للدين ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، واشطن، ١٩٩١ .٥,. , ٢٠٠١.
- حسن الحمادي، الشباب وتحديات الاعلام الجديد، دار كنوز المعرفة ، عمان، الاردن، ٢٠١٦.
- زيدان، حلمي، التوجيه التربوي، في التعليم الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ٢٠١٠.
- زينب عبد السلام ، الخطاب الديني واشكالية العصر الرقمي، مجلة الفكر المعاصر، العدد٢٤، القاهرة، ٢٠١٩

– ساميا لمبيضين، التربية الرقمية: المفهوم والوظيفة، مجلة دراسات تربوية، الجامعة الاردنية، المجلد٤٧، العدد٣، ٢٠٢٠.

– صادق جواد سليمان، التعليم في عالم متغير، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، لبنان، ٢٠١٠.

– عبد الفتاح جحا، القراءة ومهاراتها في العصر الرقمي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ٢٠١٤.

– عبد الكريم بكار، القراءة المثمرة: مفاهيم وآليات، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ٢٠٠٧.

– عبد الكريم بكار، القراءة المثمرة: مفاهيم وآليات، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٧.

– عبد الله المغلوث، الرقمية وسؤال القارئ الجديد، مجلة المعرفة، وزارة التعليم السعودية، العدد٢٥٥، ٢٠١٥.

– محمد بن عبد الله الحضيف، الهوية والفضاء الالكتروني، مجلة البيان، العدد٢٧٦، ٢٠١٠، ص–لطيفة الدليمي، القارئ الرقمي والتحولات الثقافية، مجلة الثقافة الجديدة، وزارة الثقافة العراقية، العدد ٣٦٥، ٢٠١٨.

– محمود حمدي زقزوق، الدين في عصر العلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر،٢٠٠١.

– منصور العيسوي، الشباب والفضاء الرقمي: قراءة في تحولات التلقي، دار المسيرة للنشر، عمان، الاردن، ٢٠٢١.

– يحيى اليحياوي، التحولات الرقمية في ظل الاعلام الرقمي، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، مجلد٣٩، عدد٢، ٢٠١١.

– يوسف القرضاوي ،الخطاب الديني بين التجديد والتبديد، دار الشروق، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤.

ابن فارس، احمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام هارون، دار الفكر، ج٥.

–Coiro, Julie et al. Handbook of Research on Reading Comprehension, ٢nd ed., Routledge, ٢٠١٦.

–Nassaji, Hossein. "Schema Theory and Knowledge–Based Processes in Second Language Reading Comprehension: A Review." Language Learning Journal, ٢٠٠٧

– Castells, Manuel. The Rise of the Network Society, Wiley–Blackwell, ٢٠١٠.